Derna University Journal of Humanities and Social Sciences, Vol. 4, Issue 8, September 2026.

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Derna University Journal of Humanities and Social Sciences (DUJHSS)
Source Homepage: https://dujhss.uod.edu.ly
P-ISSN: 2959-6475 | E-ISSN: 2959-6483 | Impact Factor: 0. 84
https://doi.org/10.58987/dujhss.v4i8.283

دور الأمير بلك بن بهرام في مقاومة الإمارات الفرنجية شمال بلاد الشام 516-518هـ/1122-1124م.

د. علي إبراهيم محمد عمران
محاضر بقسم الاستشراق كلية التاريخ والحضارة
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية- البيضاء
aljkhaldi@iau.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2026/05/24 ؛ تاريخ القبول: 2026/07/22 ؛ تاريخ النشر: 2026/09/01

الكلمات المفتاحية:
بلك، جوسلين، بلدوين، خرتبرت، منبج.

المستخلص

يتطرق هذا البحث إلى موضوع مهم, وهو الدور الذي قام به في مقاومة الإمارات الفرنجية في شمال بلاد الشام، وهو بمنظور عام يعتبر جزءاً مهماً من تاريخ مقاومة المسلمين للغزو الفرنجي، ويعتبر بلك من أقوى الشخصيات التي قاومت الفرنجة بشكل عام, وفي فترة حكمه لما امتلك بشكل خاص, فهو لم يتلق أي دعم أو مساندة من الخلافتين الإسلاميتين العباسية والفاطمية، ولم يتحالف معه أو يسانده أي من الأمراء الذين كانوا يحكمون مدناً كبيرة في منطقة الصراع، فكان جهده الذي بذله، والنتائج التي حققها مقرونة به وحده، وهي إنجازات انعدم نظيرها في حياته عن بقية المسلمين.

The role of prince Balak ibn Bahram in resisting the Frankish emirates in northen Sham 516-518AH—1122-1124CE

Dr. Ali bin Imran
Faculty of History, Al-Sayyid Muhammad bin Ali Al-Sanusi Islamic University- Al Bayda ,Libya.

Received :24/05/2026 Accepted: 22/07/2026 Published: 01/09/2026

Abstract

This research addresses an important topic: the role played by Prince Balak ibn Bahram in resisting the Frankish emirates in the Northern Levant. From a broader perspective, this topic represents an important part of the history of Muslim resistance to the Frankish invasion. Balak was one of the most prominent figures who made a significant contribution to the Muslim resistance against the Franks, particularly during his rule. He received no support or backing from the Abbasid or Fatimid caliphates, nor did any of the rulers of the major cities in the conflict area ally with or support him. His efforts and achievements were therefore largely the result of his own capabilities and determination. His accomplishments were remarkable and rarely matched by other Muslim leaders of his time.

Keywords

Balak;Goslen; Baldwen; Kertbert.; Menbej.

© The Author(s) 2026. This article is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4).

مقدمة

من المتعارف عليه أن الحروب الصليبية تعتبر واحدة من أهم الأحداث التاريخية في العصور الوسطى، ولاتزال تمثل حقلاً خصباً للبحث والدراسة، لتنوع مسارات الأحداث فيها، وكذلك للحقبة الزمنية التي استغرقتها وخصوصية كل حقبة والتنوع في المصادر التي تحدثت عنها من أطراف الصراع.

وتعتبر حركات المقاومة من أبرز الموضوعات المهمة في تاريخ المسلمين بشكل عام ، وفي هذه الحقبة بشكل خاص، والتي تضمنت معلومات لا بأس بها حول هذا الموضوع، ومن الممكن اعتبار الأمير بلك من أبرز الأمراء الأراتقة والمسلمين الذين صنعوا جزءاً من تاريخ هذه المقاومة، فكان من الأمراء الذين واجهوا الفرنجة واجتهدوا بشكل منفرد في التصدي لهم، وسعى كذلك إلى توحيد ما أمكن من أملاك المسلمين في منطقة الدراسة، ومن خلال مآثره وأعماله الكبيرة كان المنطلق الذي دفع الباحث نحو فكرة هذا البحث.

وفيما سبق نشرنا دراسة عن حياة الأمير بلك ابن بهرام منذ ظهوره، وحتى وصوله لمرحلة أصبح يشكل فيها خطراً حقيقياً على الفرنجة، وفي هذا البحث سيكمل الباحث بإذن الله بقية سيرة هذا الأمير، بحيث يتم سرد التسلسل التاريخي لحياته، وما قام به من أعمال عسكرية وتنظيمية، من بعد وفاة عمه الأمير إيلغازي وتوليه زمام الأمور في شمال بلاد الشام، مع شرح مستفيض لأبرز النجاحات التي حققها، وما نتج عن هذه النجاحات والانتصارات على أطراف الصراع والمنطقة ككل، وتستمر هذه الدراسة إلى مقتله، وكيف أثر ذلك على موازين القوى بين المسلمين والفرنجة .

وقد قسم هذا البحث إلى مقدمة شملت خطة البحث، وأسباب اختيار الموضوع –الشخصية والعلمية– والدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع، بالإضافة إلى إشكالية البحث والتساؤلات المطروحة حول الدراسة .

أما عن **خطة البحث**، فقد قسمت كالآتي :

الأعمال العسكرية للأمير بلك منذ توليه زمام الأمور في بلاد الشام .

- **وقوع الأميرين جوسلين وجاليران في أسر الأمير بلك.**
- **أسر الأمير بلك لملك القدس بلدوين الثاني.**
- **استفادة الأمير بلك من أسر الملك بلدوين ونتائج أسره على المسلمين .**
- **ردة فعل الفرنجة على أسر الأمير بلك لكبار قادتهم.**
- **تمرد الأسيران جوسلين و الملك بلدوين في حصن خرتبرت ومانتج عن ذلك.**
- **آخر أعماله التنظيمية و العسكرية في شمال الشام.**

- **مقتل الأمير بلك.**
- **الآثار المترتبة على مقتل الأمير بلك.**

وهناك **العديد من الأسباب التي دعت الباحث للكتابة في هذا الموضوع منها، ما هو علمي** كأهمية إظهار دور هذا الأمير في إنجاز أعمال عسكرية ناجحة قل مثيلها في فترة الضعف التي كان يمر بها المسلمون، كذلك فإن الباحث سيحاول من خلال هذا البحث إضافة عمل علمي يساعد في سد فراغ في المكتبة العربية، ودعم المختصين في التاريخ الإسلامي، والمهتمين بالحروب الصليبية, وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

أما على الصعيد الشخصي فإن من أبرز الأسباب وراء اختيار الباحث لهذا الموضوع هو ميوله الذاتي لهذه الفترة المهمة، بالإضافة لاختصاصه وكتاباته السابقة عن موضوعات في الحروب الصليبية؛ فالباحث كان قد أنجز دراستيه العليا والدقيقة في هذه الحقبة من التاريخ الإسلامي، ومن ذلك فإن الباحث تمكن خلال دراسته من جمع عدد لا بأس به من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وقد انتبه الباحث خلال دراسته للماجستير إلى مدى أهمية شخصية الأمير بلك، وأنه لم يأخذ حقه في الدراسة والبحث، وأن ما تم التطرق إليه لم يف الأمير بلك حقه من الدراسة.

أما عن **الدراسات السابقة** فإن ما تحصل عليه الباحث بعد بحث شامل، سواءً في شبكة المعلومات الدولية الإنترنت وهي الأسرع والأشمل في البحث, أو في المكتبات العربية، دراسة للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران بعنوان القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، وهي دراسة قيمة ودقيقة جداً، تناول صاحبها عدداً من قادة الصليبيين الذين وقعوا أسرى عند المسلمين، وتطرق لموضوع أسر الملك بلدوين وجوسلين، وهذه الدراسة ليست مختصة بأحداث حياة الأمير بلك، وأيضاً فقد اختلفت عن هذه الدراسة في كون الأخيرة شملت خلفية أسر هذه الشخصيات، كذلك لم تتطرق لموضوع أسقف حصن البارة وما نتج عن تلك العملية، كذلك لم يتطرق لخلفية ذلك، كذلك فقد تطرقنا إلى أعمال بلك التنظيمية والعسكرية بعد أسر الملك والأمير، إضافة إلى حادثة مقتل الأمير بلك وأهميتها في تغير موازين وأحداث الصراع.

أما عن **المنهج المستخدم في الدراسة،** فقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي الذي يعتمد على السرد التاريخي للأحداث ومن ثَم تحليلها، ومقارنة المادة العلمية بين المصادر الإسلامية والنصرانية، والاعتماد في طرح المادة العلمية على الإثنين، مع الانتباه لخلفية كل منهما ومدى تأثير تلك الخلفية على نمط كتابة صاحبها؛ وكل ذلك لاستيفاء ما ينقص للوصول إلى طرح موضوعي و سلس و متسلسل ومتزن .

وتكمن **إشكالية البحث** في أن الدراسة تناولت واحدة من الحقب الصعبة جداً على المسلمين؛ فقد كان الفرنجة الصليبيين في أوج قوتهم، عقب انتصارهم في الحملة الصليبية الأولى، ونجاحهم في تأسيس أربعة

كيانات في الشرق الإسلامي، ولعل حالة الضعف التي كان المسلمون يعانون منها لها أثرٌ على شح المعلومات والكتابات عن تلك المدة، كذلك فإن محاولة إظهار المعلومات وتنسيقها بشكل سلس في تلك الحقبة، من خلال روايات متشتتة ومتضاربة بشكل واضح في بعض الأحيان؛ يتطلب جهداً ووقتاً مضاعفاً، وبالذات في حالة التضارب بين المصادر الإسلامية والمسيحية ومحاولة التوفيق بينها وجعلها مكملة لبعضها مع الالتزام بالموضوعية في الطرح.

كذلك فإن هناك العديد من **التساؤلات** يمكن طرحها قبل الدراسة، والتي من أبرزها : كيف يمكن لأمير ناشئ كالأمير بلك أن يتمكن من القبض على أشهر شخصيتين قياديتين لدى الفرنجة أولهما ملك القدس والثانية أمير الرها جوسلين المعلوم عنه الدهاء إضافةً إلى القوة والشراسة حتى وصف بأشجع فرسانهم؟ وكيف أثر أسر هاتين الشخصيتين على المسلمين والفرنجة؟ وكيف استفاد الأمير بلك من تلك الحادثة؟ أيضاً كيف كانت ردة فعل الفرنجة بمختلف بلدانهم، وكيف دخل الفاطميون على خط المواجهة بسبب بعض أعمال بلك، وكيف أثرت تلك الأعمال على الرغم من البعد الجغرافي بين منطق سيطرتهم في مصر ومناطق سيطرة بلك في أقصى شمال الشام، أيضاً فما هي أبرز الأعمال التنظيمية والعسكرية الأخيرة للأمير بلك؟ وكيف تمت عملية قتله؟ وهل توحدت الروايات في ذلك؟ وما هي نتائج مقتله على طرفي الصراع؟ وما مدى تأثيرها على أحداث الصراع ؟

الأعمال العسكرية للأمير بلك منذ توليه زمام الأمور في بلاد الشام.

وقوع الأميرين جوسلين وجاليران في أسر الأمير بلك :

إذا ما عدنا للمصادر التاريخية التي تناولت فترة الدراسة؛ نجد من خلالها أن هذا الحدث يرجع إلى عام (516ه- 1122م), وهي نفس السنة التي مرض فيها الأمير إيلغازي وتوفي(ابن القلانسي، 1983م، ص330)، ومنذ بداية سقمه لوحظ على الأمير بلك نشاطه المتواصل لمواجهة الفرنجة, وعلى مايبدو أنه كان يرى بضرورة إكمال الطريق الذي بدأه عماهُ سقمان و إيلغازي، والمتمثل في مناجزة الفرنجة والتضييق عليهم؛ فقد بدأ بلك بتجهيز جيشه بكل ما يحتاجه ، وقام بإرسال العيون والجواسيس لتقصي أخبار الفرنجة والإثخان في أعمالهم, وعن ذلك يقول ابن الأثير **(...فجاءه إنسان تركماني وأعلمه أن جوسلين، صاحب الرها وسروج، قد جمع من عنده من الفرنج ...)**(ابن الأثير ، 1997م, ج8. ص671) فتحرك نحو أعمال إمارة الرُها الفرنجية قبل هذه الفترة، وتحديداً في النصف الثاني من سنة (515ه- 1122م) واستمر يتوسع في تلك النواحي حتى تمكن من ضرب الحصار على الرُها ذاتها, وفي هذه الفترة لم يكن الأمير جوسلين الأول موجود في إمارته, إنما كان في حصن البيرة(بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرّومية، وهي قلعة حصينة . الحموي ، 1995, ج1, ص526) التي كان يحكمها الأمير جاليران Galeran.(ابن العبري, 1995م, ص338.)

ومن الواضح أن القوة الموجودة في الرُها دافعت عنها بشراسة في أثناء غياب أميرها جوسلين , ولعل انسحاب الأمير بلك وقوته هو ما يؤكد قوة تلك المقاومة(ابن الأثير, 1997م, ج8 ، ص671), وهنا لم يكن انسحاب الأمير بلك كاملاً, أي أنه لم يرجع إلى خرتبرت, بل استقر بقوته في أنحاء سروج التي كانت تحت سيطرة جوسلين، وهنا وصلت أخبار حصار الرُها وانسحاب الأمير بلك الذي لم يبتعد كثيراً عن أماكن تواجد الأمير جوسلين، الذي قدم من أنطاكية بعد أن أتم مراسم زواجه من ابنة حاكمها روجر Roger ، بعد أن تحصل جوسلين على قلعة أعزاز(أعزاز: تبعد عن حلب بحوالي 45ميل-48كم - إلى الشمال، بلدة مشهورة حسنة البناء، الغزي، 1419 هـ، ج1, ص290) كهدية من صهره.

عرج جوسلين على حصن البارة وقضى فيها ليلة وكان ينوي الذهاب بعروسه إلى الرها(المجهول، 1995م، ج5, ص42)، وعند سماع جوسلين لما حصل، لم ينتظر وتحرك على الفور في عقب الأمير بلك وانضم له الأمير جاليران وأسرعا في تعقب الأمير بلك ؛ وعلى ما يبدو أن سبب إسراعهما كان أخذ بلك بعض الأسرى معه عند انسحابه؛ ولعل السبب المقنع هو عدم تقدير الأمير جوسلين لقوة الأمير بلك الحقيقية، فقد كانت قوة جوسلين قرابة المائة فارس بما فيهم قوة الأمير جاليران بينما كانت قوة الأمير بلك قرابة الأربعمائة فارس(ينفرد المجهول، المؤرخ الرهاوي بذكر عدد الفرسان الذين كانوا مع الأمير بلك؛ حيث قدرهم بحوالي الأربعة آلاف فارس، ولم تذكر أي من المصادر العربية هذا العدد ولا غيره؛ ماعدا ابن الأثير الذي انفرد بتقدير عدد من بقى مع بلك بعد حصار الرها وفي قت المعركة، فذكر بأنهم حوالي الأربعمائة وأكد بأن الباقي تفرقوا عنه . ويذكر المؤرخ المجهول بأن جنود بلك انتشروا في أعمال الرها يقتلون ويسلبون، وسواء كان ذلك بأمر وعلم بلك أم لا؛ فإن رواية المجهول، المؤرخ الرهاوي عن العدد، تبقى مقاربة لحقيقة عدد الفرسان. وذلك لإن حصار مدينة كالرها ولو لفترة قصيرة كالتي أجمع عليها المؤرخون، يحتاج عدد كالذي ذكره المجهول، ومن غير المعقول أن يكون بلك حاصر الرها بأربعمائة فارس فقط . المجهول، 1995م، ص42. ابن الأثير، 1997م, ج8 ، ص671).

وبعدما واصل جوسلين المسير، دون توقف تعبت القوة المرافقة له تعباً شديداً وانهكت, ولم ينتبه جوسلين وقوته إلا في المنطقة التي يعسكر فيها الأمير بلك وقوته, وانهال عليهم وابل من السهام من مقاتلي الأمير بلك الذين كانوا في وضع جيد ومستعدين(الرهاوي, 2009م، ص223-224), وفتك بلك فتكةً شنيعةً بقوة الأمير جوسلين، ففقد أغلب مقاتليه(ابن يوسف، 1913م، ج6, ص315), واستسلم مع عدد من الأمراء والمقدمين من أبرزهم الأمير جاليران أو كاليام(هكذا أطلقت عليه المصادر العربية، وبعضها كابن العديم ذكره باسم مقرب من اسمه اللاتيني حيث أطلق عليه قلران. ابن الأثير، 1997م, ج8،ص672. ابن الوردي, 1996م، ج2, ص27-28. ابن العديم, 1996م، ص282) ، وهو ابن خالته، وكذلك مجموعة من الفرسان, كلهم أصبحوا أسرى لدى الأمير بلك الذي أمر بتقييدهما بالسلاسل على الفور(ابن الأثير، 1997م, ج8،ص672).

إن أسر شخصيتين تحملان مكانة كبيرة في فريقهما من الطبيعي أن يكون له نتائج مؤثرة على موقف كل طرف من أطراف الصراع، فنجد المؤرخ متى الرهاوي يصف ما جرى بالكارثة ويقول عن ذلك(**...تلك الكارثة أغرقت صفوف المؤمنين في حزن وذعر شديد...**)(الرهاوي، 2009م، ص224) فإذا ما نظرنا للوضع في شمال الشام نجد أن المسلمين وعلى رأسهم الأراتقة كان وضعهم قد ساء بعد وفاة الأمير إيلغازي عم بلك, والذي أصبح صاحب القوة والقرار في نفس الوقت، وبالرغم من أن ذلك لم يكن بشكل رسمي من أي جهة ذات سيادة وقرار لدى المسلمين, إلا أنه فرضه الواقع في تلك الأنحاء يقول المؤرخ ميخائيل السرياني عن ذلك, "**...فصار لبلك اسماً كبيراً عند الأتراك, فاجتمعت إليه الشعوب ودخل أيضاً إلى بلاد الإفرنج...**"(ميخائيل السرياني بطريارك الكنيسة السريانية الأرثودوكسية 1199/1166م, السرياني, 1995م).

وبالرغم من أنها المرة الأولى التي يتمكن فيها الأمير بلك من القبض على شخصيات فرنجية من أعلى طبقاتهم؛ إلا أن تعامله معها كان يدل على بلوغ الأمير بلك مرحلة متقدمة جداً من حسن التصرف وشكل التعامل مع العدو، والتخطيط لتحقيق أكبر استفادة من حدث كهذا، فكان في قمة الدقة والحذر الشديد, وكأنه كان صاحب خبرة في التعامل مع كبار الأسرى, فكما هو معلوم أن الأسيرين بحكم مكانتهما، لن يدخرا جهداً ظاهراً أو مستتراً لغرض الخلاص، وهذا ما حدث بالفعل؛ فلم يقبل بلك الأموال الكثيرة التي بذلها جوسلين فداءً لنفسه(ابن الوردي، 1996م, ج2، ص28).

وما أن أصبح الأمير جوسلين وصهره جاليران أسيرين عند الأمير بلك؛ حتى قام بوضع جوسلين في جلد جمل وخاط عليه وقصد بهما الرها، وطرح شرط إطلاق سراحهما والذي كان صعباً إلى حد ما، فلم يكن ذلك الشرط مالاً كما هو متعارفٌ عليه, كذلك لم يقتلهما؛ كان ذلك الشرط هو تسليم مدينة الرها وما تحت أيديهما من القلاع والحصون في شمال الشام(المجهول، 1995م، ص43. ابن الأثير، 1997م, ج8،ص672. ابن العديم، 1996م ص282), وقد رفض جوسلين وأهالي الرها ذلك بشدة, يقول المؤرخ الرهاوي المجهول: (**...وأخذوا الباقين أسرى أحياء ومنهم جوسلين وجاليران ...وأخذهما بلك إلى أمام باب الرها وهو يتوقع أن تسلم له المدينة...**)(المجهول، 1995م، ص43)، وكان رد الأمير جوسلين على بلك بقوله "**... نحن والبلاد كالجمل والحدج, متى عقر بعير حول رحلة إلى آخر, والذي كان بأيدينا قد صار بيد غيرنا...**". (الحدج: هو الحمل . ابن منظور، 1414هـ، ج2, ص230.) (ابن العديم ، 1996م, ص282.)

وبعد رفض جوسلين وكذلك أهل الرها طلب بلك؛ انسحب بلك ومعه الأسرى إلى قلعة خرتبرت (خرتبرت: اسم أرمنيّ: وهو الحصن المعروف بحصن زياد، في أقصى ديار بكر من بلاد الروم . الحموي، ياقوت، 1995, ج2، ص355.), حيث ألقاهم في سجنها(المجهول، 1995م، ص43.ابن الأثير، 1997م, ج8،ص672. ابن العديم،

1996م، ص282. ابن العبري، 1995م, ص338). ومن الواضح جداً أنه لم يكن لدى بلك قوة كافية لضرب الحصار لفترة طويلة على المدينة، بدليل انسحابه قبل أسره لجوسلين وانسحابه بعد ذلك إلى خرتبرت .

أيضاً فقد أدى النصر الذي حققه الأمير بلك، إلى حالة واضحة من الإرباك في مملكة بيت المقدس الصليبية؛ فقد زادت المسؤوليات على الملك بلدوين الثاني Baldwin II (1118–1131م) الذي لم يكن في هذه الأثناء في القدس إنما كان في أنطاكية بعد أن أنهى المشاكل التي كانت بينه وبين الأمير بونز Bons أمير طرابلس (1113 – 1137م) بسبب تمرد الأخير؛ وكان سبب قدوم الملك إلى أنطاكية هو وفاة أميرها روجر أوف سالرنو Roger of salerno ليقوم بتنظيم أحوالها(عمران، 1986، ص55), كذلك فإن الغارات التي شنها الأمير بلك قبل هذه الفترة، والتي أشير إليها في البداية؛ أثرت كثيراً على أعمال ونواحي أنطاكية, وبعد كل هذه المتاعب وجد الملك نفسه مضطراً للتوجه إلى الرُها للنظر في أحوالها وتنظيمها بعد أسر الأمير جوسلين، وبذلك تسببت أفعال الأمير بلك في تشتيت جهود أعلى سلطة للفرنجة الصليبيين في بلاد الشام وانهاكها؛ بحيث أصبح ملك القدس بالإضافة لمسؤوليات مملكته مسؤولا عن تسيير وتنظيم إمارتي أنطاكية والرُها(عاشور, دت، ج1, ص409. محمد، 2009/2008م, ص57).

أسر الأمير بلك لملك القدس بلدوين الثاني:

يعتبر هذا الحدث المهم ولعله الأهم في كل الإنجازات التي حققها الأمير بلك، وهو القبض على صاحب أعلى سلطة فرنجية في الشرق–ملك مملكة بيت المقدس الصليبية–، وارتبط هذا الحدث بأسر الأمير جوسلين بشكل مباشر ، فكما سبق وأوضحنا بأن العبئ أصبح ثقيل على كاهل ملك القدس لم يكتف الأمير بلك بما حققه من انتصارات على جوسلين، بل إنه تحرك نحو كركر(كركر: حصن بين سميساط وحصن زياد، الحموي، 1995م، ج4, ص453) عقب تركه لجوسلين في خرتبرت, واستمر في الإغارة عليها ثم تحرك في أعمال الرُها فهاجم حصني منصور(حصن منصور: كورة من كور ديار مضر، وهى من الجزيرة. البكري، 1403هـ، ج2, ص452), وسمياط(سمياط: كورة من ديار ربيعة، وهى بين الجزيرة والشام. البكري، 1403هـ، ج3، ص757), وفي هذه الأثناء علم الملك بلدوين بما جرى فتحرك نحو قوة بلك؛ ولعل ذلك لغرض ردها عن المناطق السابقة، ومن الواضح أن هذه المناطق كانت غنية جداً بالحبوب والفواكه، فقد ذكر ذلك الرحالة والجغرافي الإصطخري(الاصطخري، 2004م، ص62–63) حيث وصف حصن منصور بصغر الحجم وتوفر الزروع والأشجار، كذلك فقد ذكر موقع سميساط على الفرات ووصف أراضيها بالخصبة وتوفر الغلال والثمار؛ ولعل ذلك هو ما جعلها مكاناً للتنافس بين طرفي الصراع .

وما أن وصل الملك بلدوين ومن معه إلى كيسوم(كيسوم أو كيسون: قرية مستطيلة من أعمال سميساط ولها عرض صالح وفيها سوق ودكاكين وافرة وفيها حصن كبير، وفيها مياه وبساتين. وهذا ما يؤكد أهمية هذه المناطق الاقتصادية وتأثيرها بشكل واضح على أحداث الصراع. الحموي، ياقوت، 1995, ج4، ص497) حتى اقترب من نهر سنجة(سنجة:

مدينة صغيرة على الفرات شمال حلب . ابن حوقل، 1938م، ج1, ص181)، وكانت عليه قنطرة(القنطرة مفرد، والجمع قناطر، وهي الجسر. وتؤسس على فم النهر. البعلي، 2003م،ص260. النسفي،1311هـ، ص157) كان من المخطط أن يعبر الملك ومن معه فوقها، غير أن الملك آثر أن يستريح قليلاً مع قواته من عناء السفر، وفي هذه الأثناء كان الأمير بلك يعسكر في موقع ليس ببعيد عن تلك الأنحاء، في أثناء قيامه بغزو أعمال الفرنجة وكان قد تحرك إلى الأحراج(الأحراج: جمع، والمفرد حرج، وهي غابة ملتفة الشجر كثيفة. عمر، 2008م، ج1, ص466) لغرض الصيد، فانتبه أن هناك قوة فرنجية تعسكر قرب النهر فكمن لها بدقة(الرهاوي، 2009م، ص226).

ما أن أحس بلك ومن معه بالقوة الفرنجية؛ حتى ترك أمر الصيد وتوجه على الفور ومن معه لمواجهة تلك القوة, والتي من الواضح أنه لم يكن يعلم من فيها، وكذلك فإن ملك القدس هو الآخر لم يشعر بخطر الأمير بلك حيث كان هو الآخر يود الاستمتاع بالصيد عن طريق الصقور , فانقض بلك ومن معه على غفلة على الملك ومن معه، والتحم الطرفان في معركة عند موضع يسمى أورش(أورش: موضع بالقرب من تل باشر. الغزي، 1419 هـ، ج1، ص347) بالقرب من نهر سنجة، وذلك في 517ه-1123م. أسفرت عن مجزرة فضيعة حسب وصف بعض المؤرخين المسيحيين(الرهاوي، 2009م، ص226)، كذلك نتجت عن أسر الملك بلدوين الثاني(ابن منقذ، د ت، ص120) أعلى سلطة سياسية للفرنجة الصليبيين في المشرق الإسلامي، بعد أن نجا من القتل حيث كان من الواضح بأن الأمير بلك ومن معه هم من حافظوا على حياته والحرص على أسره؛ وإلا فكيف نجا من المعركة؟ ومما يؤكد ذلك قول أورده المؤرخ الرهاوي المجهول ونسبه للأمير بلك عندما غادر قلعة خرتبرت بأنه أخبر جوسلين وهو في الأسر، بأنه سوف يجلب له الملك أسيراً ليشاركه السجن، وقد حصل بالفعل بعد ستة أشهر، وبذلك أصبح ملك القدس بلدوين الثاني أسيراً لدى الأمير بلك الأرتقي بعد ستة أشهر فقط من أسر الأمير جوسلين(المجهول، 1995م، ص45).

استفادة الأمير بلك من أسر الملك بلدوين ونتائج أسره على المسلمين:

وما إن قبض الأمير بلك على الملك حتى تعامل معه بنفس السياسة التي طبقها مع الأمير جوسلين, وهي سياسة الإفادة من أسر شخصية فرنجية مهمة، وبالرغم من عدم جدواها مع الأمير جوسلين إلا أن الأمر هنا اختلف بشكل كبير؛ فما أن قبض الأمير بلك على الملك حتى ذهب مباشرة إلى كركر وطلب ممن فيها تسليمها، ونجح في ذلك واستلمت المدينة بعد سبعة أيام فقط من أسر الملك بلدوين(ابن العديم, 1996م.ص284), وبنفس الطريقة استلم حصن منصور دون أي مواجهة.(السرياني، 1995م، ص121)

وبعد هذه العملية الناجحة للمسلمين والتي من الطبيعي أن تحسن كثيراً موقفهم في الصراع بشكل عام, والأراتقة بشكل خاص، وذلك بعد أن كانوا يعانون من الفرقة والتشتت بعد وفاة الأميرين سقمان وإيلغازي.

وكان بلك يفتخر بما نتج عن أعماله هذه، فكان يمسك بإحدى يديه ملك القدس وبالأخرى أمير الرُها، ومن الواضح أنه بعد خلو إمارتي الرها و أنطاكية وكذلك مملكة القدس من قياداتها خف الخطر الفرنجي على الأمير بلك بشكل واضح، الأمر الذي أتاح له التحول للشأن الداخلي والسعي لتوحيد ما أمكن من أملاك الأراتقة والمسلمين؛ وبالفعل فقد تحرك على الفور نحو حران ونجح في السيطرة عليها(ابن القلانسي، 1983م، ص332. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص686. ابن العديم، 1996م، ص258. عاشور، دت، ص410), ومن ثم تحرك نحو أكبر قلاع الأراتقة والمسلمين في شمال الشام حلب، التي كانت تخضع لابن عمه الأمير سليمان بن عبدالجبار, وبالفعل فقد نجح في السيطرة عليها دون كثرة خسائر، وذلك في النصف الثاني من سنة (517هـ-1123م)(ابن القلانسي، 1983م، ص332. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص686. ابن العديم، 1996م، ص258), وبعد توسيع نفوذه وزيادة قوته، تحول إلى مهاجمة الفرنجة فبدأ بأعمال أنطاكية, ونجح في الاستيلاء على حصن البارة(البارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن، الحموي، ياقوت، 1995, ج1، ص320)، وتمكن من أسر أكبر شخصية دينية فيه وهو أسقف الحصن(ابن القلانسي، 1983م، ص333)، وقيده غير أن ذلك الأسقف نجح في الهروب ليلاً بعد أن غافل الحراس، فقصد حصن كفرطاب(كفرطاب: بلدة بين معرة النعمان وحلب . الحموي، 1995, ج4، ص470) واختبئ به، وقد أثار هذا الحدث غضب بلك، فما أن علم بمكان الأسقف حتى قصده على الفور، وضرب حصاراً شديداً على ذلك الحصن(من الواضح أن الأمير بلك أصبح يدرك جيداً أهمية أسر الشخصيات الكبيرة من الفرنجة، كونها وسيلة تجنبه الكثير من العناء والمعارك والخسائر، ولا أدل على ذلك من غضبه الشديد من هرب الأسقف، بل واللحاق به وضرب الحصار على الحصن الذي اختبئ به، ولم يتراجع عن الحصار إلا بعد أن واجهه أمر مهم وهو سماعه بالتمرد الذي حصل في خرتبرت والذي نتج عنه هروب الأمير جوسلين . ولمعرفة المزيد عن تلك السياسة التي اهتم بها أمراء وقادة المسلمين، يراجع، محمد، 2009/2008م, ص56 ومابعدها. ابن العديم، 1996م، ص285).

وقد وقع أيضاً حدثٌ مهم جدا وأثر بالغ الأهمية، نتج عن أسر بلك لملك القدس، ولم يقع هذا الحدث في شمال الشام، التي كان المكان الجغرافي لأغلب أحداث هذه الدراسة؛ ويتمثل هذا الحدث في تفطن حكام مصر من الفاطميين لما جرى في بلاد الشام مع ملك القدس والأمير جوسلين؛ فمن الواضح أنهم أرادوا استغلال ذلك الحدث والاستفادة منه(في أثناء كتابة هذا البحث، لاحظ الباحث ورود رواية واحدة عن حادثة تحرك الفاطميين وقد ذكرها المؤرخ ميخائيل السرياني، جاء فيها(...ولما صار ملك القدس أسيراً وبقيت البلاد بغير رئيس أو سيد أراد المصريون أن يملكوا القدس وباقي البلاد، فأرسلوا جيشين واحد في البر والآخر في البحر...) أما باقي المصادر فلم تؤكد هذا الحدث سواءً الإسلامية أوالمسيحية، وقد عرجت المصادر الإسلامية على الحادثة بشكل طفيف جدا دون تأكيد حادثة استغلال الفاطميين لها ، وكأن الحادثة لا أهمية لها، ولعل لذلك سببين إما أن المؤرخين لم تصل لهم الرواية بالتفصيل، أو أن العداء المذهبي كان له أثر على ذلك. وكان الباحث من خلال الروايات الإسلامية البسيطة وذكرها تحدياً في التاريخ الذي أسر

فيه الملك، قد استنبط فكرة استغلال الفاطمين للحادثة، ولكن الفكرة كانت دون بينة من المصادر، غير أن رواية ميخائيل كانت قد دعمت الفكرة بشكل مبدأي، وبعد البحث والتدقيق تحصل الباحث على رواية وردت عند المؤرخ ورجل الدين المسيحي الذي يعتبر من المصادر الأولية المعاصرة لهذه الفترة وهو الأسقف وليم الصوري، الذي أكد الفكرة بشكل يقطع الشك، وأكدها كما وردت كما في المتن، يقول وليم عن ذلك (...كان لأمير مصر ما يبرر سوء ظنه بمملكة بيت المقدس ورأى الفرصة مواتيه لغزوها آنذاك بسبب وقوع عاهلها في الأسر...)، وهذه الفقرة تعتبر من أهم الأثار المترتبة على أسر الملك بلدوين، وكان الباحث في أثناء كتابته لرسالة الماجستير السابقة الذكر قد تطرق في أحد المباحث لهذه الفقرة ، وقد غفل عن هذا الأثر المهم الذي تم طرحه بالتفصيل في هذا البحث. مع العلم أنه يؤخذ على الفاطميين عدم تواصلهم مع بلك أو حتى غيره من أمراء الشام، لتكون النتيجة إيجابية وليس كما حصل. (السرياني، 1995م ص120. الصوري، د.ت ج2، ص370)؛ فما أن سمع الفاطميون بما جرى أرسلوا على الفور قوتين إحداهما بحرية والأخرى برية لبلاد الشام، وكانت هذه القوات يقودها الوزير الفاطمي الأفضل (وزير الخليفة الفاطمي المستعلي بمصر المعروف بأمير الجيوش بن شاهين، بلغ في الوزارة مبلغا عظيما ، قتله اثنان من الباطنية. ابن طولون، 1998م، ص52، السرياني، 1995م، ص120. الصوري، د.ت ج2، ص370)، وقد توجهت القوتان نحو الشام، وتحديداً مملكة بيت المقدس، وقد تصدى الفرنجة ونجحوا في هزيمة تلك القوتين وغنموا منهم الكثير مما كان معهم من أموال وذهب وعتاد، وقد ساند الفرنج في هذه المعركة قوة بحرية وصلت بالمصادفة من مدن الجنوب الإيطالي وتحديداً من البندقية، فكانت هذه القوة أبرز أسباب انتصار الفرنجة (الشارتري، 1990, ص194). لم يشر فوشيه إلى مشاركة البنادقة صراحة في القتال وكانت روايته بها شيء من عدم الوضوح ؛ غير أن ما يهمنا هنا هو تأكيده لوصولهم إلى سواحل الشام تزامناً مع أسر أمير الرها وملك القدس إلى الشرق، (ابن القلانسي، 1983م، ص333. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص691) ، وقد كان لهذه الانتصارات دوراً مهماً في استعادة الثقة والتنظيم للفرنجة، فهجموا على مدينة صور.(السرياني، 1995م، ص120-121؛ الشارتري، 1990, ص195-196؛ الصوري، د.ت ص373)

ردة فعل الفرنجة على أسر الأمير بلك لكبار قادتهم :

ومن خلال ما سبق أصبح واضحاً جداً الضعف في الجانب الأخر، فقد أصبحت كياناتهم التي بنوها بدون قادة يديرونها، ماعدا إمارة طرابلس والتي كان على رأسها الأمير بونزpons, والذي كان على خلاف مع الملك بلدوين(الصوري، د.ت ج2، ص362), ولم نر له من خلال المصادر موقفاً جاداً تجاه ماحدث ولا ذكراً في اجتماع عكا كما سيلي، أما إمارتي أنطاكية والرُها ومملكة بين المقدس فقد أصبح قادتها في سجن الأمير بلك.

وهنا كان على الأمراء والمقدمين ورجال الدين الاجتماع لبحث مصير تلك الكيانات والبحث عن طرق للمحافظة عليها وهذا ما حصل بالفعل, خاصة بعد انتشار إشاعة مفادها أن ملك القدس قد قتل, وفي تلك الأثناء أصبح مصير ملك القدس مجهولاً بالنسبة لهم, فعُقد اجتماع في مدينة عكا ضم القيادات الصليبية

من السياسيين ورجال الدين(الشارتري، 1990, ص195), والذين ترأسهم بطريارك القدس جروموند أوف بيغني Gromned of piquigny, وخلص الاجتماع بالاتفاق على اختيار حاكم قيسارية(قيسارية: من ثغور الشام، وقيل سميت بذلك لأنها فتحت قسراً من قبل المسلمين زمن الفتوحات. البكري، 1403هـ، ج3، ص1106) وصيدا الأمير يوستاش جارنييه الأول Eustac Garnier I الأول؛ ليتولى أمر الدفاع عن المملكة وباقي الإمارات, ويسير أمورها بشكل مؤقت إلى حين، وكان يوستاش معروفاً بالشجاعة والإقدام(الشارتري، 1990, ص195. . Duggan،1963. P.p.96.97.) ، يقول المؤرخ وليم الصوري(**...وكان رجلاً عاقلاً محمود الشمائل، ألقوا إليه بإدارة دفة شؤون المملكة أثناء غياب الملك...**)(البكري، ج2، ص372-373) وهنا أصبح يوستاش هذا يمثل أكبر سلطة في الكيانات الصليبية في الشرق, وهذا كله ما كان ليحدث لولا سياسة الأمير بلك المقاومة والهجوم.

استمر يوستاش في مكانه حتى وفاته, وخلفه الأمير وليم أوف بورس wiliam of Bures أمير إقطاع الجليل وطبرية(الصوري، د.ت, ص373), وذلك حتى يعود الملك بلدوين من الأسر. أما الرُها وهي القريبة دائماً من الأمير بلك, فقد تسلم زمام أمورها أحد رجال الدين المدعو الراهب جودفري, والذي كان يحكم مرعش، وأخيراً لم تتبق سوى إنطاكية والتي خضعت هي الأخرى لسلطة رجال الدين, فاستمرت تحت حكم البطريارك ريتشارد أوف فالنزRetshard of valenz، وبذلك أصبحت، الرُها وأنطاكية، والتي تمثلان قرابة منتصف أملاك الصليبين في الشرق تحت سلطة رجال الدين(عمران، 1986, ص56), وبالتأكيد أن ذلك سيكون رادف كبير لدعم فكرة سيطرة رجال الدين على مقاليد الأمور في الكيانات الفرنجية في الشرق.

كذلك فإنه من ردات فعل الفرنجة عقب أسر كبار قادتهم؛ قيام بعض الجموع الغير منظمة منهم وتحديداً من إمارة أنطاكية بمهاجمة إمارة حلب، التي كانت وقتها تحت حكم الأمير بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ابن عم الأمير بلك, وعلى الرغم من أن تلك الجموع افتقرت إلى القيادة المنظمة والمحنكة؛ إلا أنها تحصلت على نتائج حسنة من تلك الهجمات؛ فقد تسببت في اضطرابات وإرباك في صفوف المسلمين، فسليمان لم يكن يماثل بلك في الشجاعة, وكان ضعيفاً فقام عقب هجمات الفرنجة على الفور بمهادنتهم ومفاوضتهم على الرجوع مقابل التنازل عن حصن الأثارب، وظلت بحوزتهم إلى أن استرجعها الأمير عماد الدين زنكي(ابن الأثير، 1997م, ج8، ص، 686)، الأمر الذي أثار غضب الأمير بلك وجعله يزحف على حلب ويأخذها من ابن عمه سليمان(ابن القلانسي، 1983م، ص332. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص686. ابن العديم، 1996م، ص285. ابن العبري, 1992م، ص202. السرياني، 1995م، ص121)؛ لما ظهر منه من ضعف وهوان في مواجهة الفرنجة، ويبدو أن ذلك لم يتماشى مع سياسة بلك، فلعله رأى بأن ابن عمه

لم يعد يستحق أن يكون أميراً على واحدة من أهم قلاع شمال الشام، وأنه بسياسته هذه قد يشكل خطر حقيقي عليه وعلى سياساته وتوجهاته في المقاومة.

وهنا يلاحظ أيضاً من خلال ماحدث مدى ما وصل إليه الأمير بلك من قوة فرضت نفسها، وأصبحت تخيف الفرنجة، حتى أنهم تركوا مهاجمته أو حتى مهاجمة أي أعمال تحت حكمه، وذلك بالرغم من أن كبار قادتهم كانوا يقبعون في سجونه؛ بل هاجموا حلب التي كانت تحت حكم ابن عمه بدر الدولة سليمان، والذي لم يكن في حالة عداء صريح لهم، حتى يشكل خطر عليهم(يلاحظ هنا حزم الأمير بلك في التعامل مع ابن عمه أمير حلب؛ فبالإضافة لصلة القرابة التي تربطهما ، فإن من عين سليمان والياً على المدينة، هو الأمير إيلغازي عم بلك و صاحب الفضل عليه ، غير أن هذا الأمر لم يكن له تأثير على بلك حينما شعر بالخطر، واتخذ قراره دون أي تردد).

تمرد الأسيران جوسلين و الملك بلدوين في حصن خرتبرت ومانتج عنه:

من الواضح أن تصرف سليمان كان له آثاراً سلبية على تخطيط الأمير بلك وسياسته القتالية ضد الفرنجة الصليبيين؛ ففي هذه الأثناء بلغ الأمير بلك خبراً مفاده أن تمرداً حدث في حصن خرتبرت من قبل الأمير جوسلين والملك بلدوين وقد نجحا في السيطرة على أجزاء من الحصن, بعد أن تعاون بعض المتمردين وتآمروا مع بعض المناصرين الذين كان أغلبهم من الأرمن(أبرز من فصل في هذه الحادثة من المؤرخين المسيحيين كان وليم الصوري، فقد أورد عدة روايات لتفاصيلها، ولكنها على كل حال ليس بها اختلاف كثير سواء فيما بينها أو مع المصادر الأخرى، إذا ماقورنت، فكلها تجمع على أن الحادثة حصلت بالخداع ، وأغلب من قام بها هم الأرمن، أما المصادر العربية فكانت روايتها مختصرة جداً جداً، وهي فقط إشارة لحيلة قام بها الأمراء الأسرى . الصوري، د.ت, ج2، ص365. المجهول، 1995م، ص45. الرهاوي، 2009م، ص227. ابن القلانسي، 1983م، ص333. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص688. ابن العديم، 1996م، ص285), حيث تنكرت تلك المجموعة(اختلفت الروايات في المصادر المسيحية حول طريقة التنكر التي اخترقت بها تلك المجموعة القلعة، ونجحت في فك أسر جوسلين والملك، فمنها ما ذكر بأنها ارتدت زي رجال دين وتسللت سراً إلى القلعة، والأخرى تذكر بأن المهمة قام بها منفذوها وهم متنكرين في هيئة قرويين يحملون فواكة ودواجن، وجاءوا للشكوى عند والي القلعة من ظلم حاكمهم. والبعض الآخر ذكر بأن المنفذين كانوا موجودين في القلعة، وكذلك اختلفت المصادر أيضاً في سبب ماقامت به، فالبعض أورد أنهم تعاطفوا مع نداءات جوسلين ، وذكر البعض بأن جوسلين كان قد أغراهم بالمال ووعدهم بالكثير منه . ورأى البعض بأن الفاعلين كانوا من العمال الأرمن داخل الحصن. الصوري، د.ت, ج2، ص365. السرياني، 1995م، ص121. الرهاوي، 2009م، ص227. الشارتري، 1990, ص200. المجهول، 1995م، ص45.ابن العبري، 1992م، ص339)، وبعد إثارة حالة من الاضطراب والفوضى نجح الأمير جوسلين فقط في الهروب وقصد إمارة أنطاكية لنجدة الملك(السرياني، 1995م، ص121. الرهاوي، 2009م، ص227. الصوري، د.ت, ج2، ص365), وقد حلفه الملك وباقي الأسرى على أن يترك كل ملذات الحياة ولا يلتفت إليها حتى يجمع الفرنجة ويقودهم إلى خرتبرت ليخلص الملك وباقي الأسرى(السرياني، 1995م، ص121. ابن العديم، 1996م، ص285. المجهول، 1995م، ص46).

تمكن جوسلين من الوصول إلى تل باشر، وتحرك بلك فور سماعه خبر التمرد نحو خرتبرت التي ما أن وصلها حتى ضرب عليهما حصاراً شديداً, ودكها بالمجانيق وضيق عليها، حتى تمكنت قواته من إحداث شرخ في سور القلعة وطلب بلك من الملك بلدوين ومن معه تسليم أنفسهم مقابل الحفاظ على حياتهم, فرفض الملك أول الأمر آملاً في قدوم جوسلين بنجدة لتخليصه، غير أنه ما لبث أن وافق بعد يأسه من قدوم النجدة(الشارتري، 1990, ص205).

واشترط الملك الحفاظ على حياته ومن معه مقابل الاستسلام وتسليم القلعة، واتفق الطرفان على ذلك وعلى الفور قام الأمير بلك بنقل الملك والأمير جاليران فوراً إلى حران(هنا يلاحظ على أغلب المصادر العربية المبكرة أمران، الأول أنها لم تتوسع في تفاصيل الحادثة، والثاني ويحتاج لتفسير وهو عدم ذكرها لنتائج حالة التمرد، وهنا نقصد بالدرجة الأولى ابن القلانسي وابن الأثير تحديداً، فقد أوردا في روايتهما بأن الملك نجح هو الآخر في الهرب ليلا وقصد بلاده، وذلك طبعاً يخالف الروايات المسيحية، التي لم تتفق معها سوى رواية ابن العديم، الذي أوردها بشيء من الدقة، وأكد تصرفات بلك مع بلدوين وباقي المتمردين، وتعتبر رواية وليم الصوري أوسع وأشمل من كل الروايات، فقد فصلت الحادثة بشيء من الدقة والتحليل والإسهاب أيضاً الصوري، د.ت, ج2، ص365 وما بعدها, ابن القلانسي، 1983م، ص333. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص688. الشارتري، 1990, ص206. ابن العديم، 1996م، ص286)، وكانت ردة فعل الأمير بلك قاسية جداً على الباقين فقد أعدم حوالي خمسة وستين أسيراً من رفاق الملك بلدوين, كذلك فقد أعدم عدداً من النسوة اللاتي كان لهن دور في إغواء الحرس والتي بلغ عددهن حوالي الثمانين امرأة وكُن على قدر من الجمال وحُسن الخلقة , ولم ينج حتى رجال الأمير بلك الذين اتهموا بالتقصير فأعدم بعضهم دون رحمة(الرهاوي، 2009م، ص228).

كان أسر الأمير بلك لجوسلين وملك القدس ومن ثم هروب الأخير حدثاً مهماً أثر بشكل واضح على مجريات الأحداث؛ فما أن هرب جوسلين حتى نجح في وقت قصير في جمع قوة كبيرة من الرُها وأنطاكية والقدس، بعد أن وصلها بصعوبة، وشرح لمن فيها بالتفصيل ما حدث(الصوري، د.ت, ج2،ص369) وتوجه فوراً نحو خرتبرت لتخليص الملك، وما أن سمع بما حصل مع الملك حتى انعطف وأثخن في ديار المسلمين انطلاقاً من تل باشر, حيث لقي منه المسلمين آذًى شديداً وخسائر فادحة(ابن العديم، 1996م، ص286).

عاث جوسلين في بلدات المسلمين خراباً ودماراً وحرقاً، فبدأ ذلك بحصن بزاعة(بزاعة: بلدة بين مدينتي منبج وحلب . الحموي، 1995, ج1، ص409) الذي ذاق أهله أشد الأذى والخراب والحرق من الأمير جوسلين, ثم تحول إلى نواحي حيلان(حيلان: قرية من قرى مدينة حلب. الحموي، 1995, ج2، ص332), قرب حلب فخرب بساتينها وقتل وسبى الكثير، وهدم المساجد ونبش بعض الأضرحة والقبور وأضرم فيها النار(ابن العديم، 1996م، ص286. المجهول، 1995م، ص46).

من الواضح أن طول غياب الأمير بلك عن حلب، والذي كان سببه تمرد الأسرى في خرتبرت وهروب الأمير جوسلين، كان قد أثر بشكل سلبي على العلاقة بين المسلمين والنصارى في حلب؛ فلقد قام المسلمون بالمدينة بعدة إجراءات فيها شيء من القسوة رداً على أفعال جوسلين؛ فقد اجتمع قاضي المدينة **أبو الفضل بن الخشاب**(هو قاضي مدينة حلب هو المرجوع إليه في حفظ المدينة والنظر في مصالحها، كان ذا هيبة وكلمة مسموعة؛ فيذكر ابن العديم بأن المدينة عانت كثيرا من الحصار والجوع عقب وفاة أميرها رضوان بن تاج الدولة تتش، فاستنجدت بطغتكين حاكم دمشق، ولم ينجح في إغاثتها ودفع خطر الأمير جوسلين عنها، فاستنجدت بحاكم الموصل فلم يستجب، وعند استنجادها بإيلغازي بن أرتق عم الأمير بلك، رفض بعض أهل المدينة تسليمها له فرحل، فلحق به ابن الخشاب ولاطفه وأقنعه بالرجوع لاستلام المدينة وكان له الفضل في نجاة المدينة من السقوط إما في أيدي الفرنجة أو المجاعة . وانفرد المؤرخ الرهاوي المجهول من بين المصادر المسيحية بذكره، غير أنه كنّاه بأبي الحسن وليس أبا الفضل . ابن العديم، 1996م، ص269. المجهول، 1995م، ص46) مع أعيانها واتفقوا على هدم محاريب كنائس المدينة, ولم يكتف القاضي بذلك؛ بل أمر بإنشاء محاريب جديدة لها تجاه مكة –أي قبلة المسلمين– وقاموا بتغيير أبوابها وتحويلها إلى مساجد وفُعل ذلك بأغلب الكنائس, وعلى رأسها الكنيسة العظمى بالمدينة التي ألغى أهل حلب كل علاقة لها بالمسيحية, وتم تحويلها إلى مسجد وأُطلق عليه مسجد السراجين، ولم يترك المسلمون للنصارى من دور العبادة بالمدينة سوى كنيستين فقط(هنا يظهر أمر غريب؛ وهو عدم ذكر هذا الحدث بالتفصيل في المصادر الإسلامية، والمسيحية التي يتسم أغلب من كتبها بالتحيز المطلق للفرنجة، وتتضح فيها العاطفة الدينية والعداء بشكل واضح، حت أنه يصل إلى وصف المسلمين وقادتهم بأبشع الصفات، وفي هذه الحادثة المهمة مادة مهمة تتماشى مع أفكارهم المعادية. باستثناء ابن العديم والمؤرخ الرهاوي المجهول؛ الذي أورد روايةً عن هذه الحادثة شبه مماثلة لرواية ابن العديم، ولعل هذا يؤكد أمراً مهماً، وهو اختلاف المصادر التي نقل عنها كل من المؤرخين المسلمين والمسيحيين. (ابن العديم، 1996م، ص286. المجهول، 1995م، ص46).

آخر أعماله التنظيمية و العسكرية في شمال الشام:

من الممكن تقسيم آخر أعمال الأمير بلك قبيل وفاته إلى قسمين الأول منها كان تنظيمياً على مستوى أعماله وعلاقاته مع باقي المسلمين؛ فكما سبق وذكر في السابق حالة الاستقرار والراحة التي تحصل عليها بلك بعد أسره لكبار قادة الفرنجة، وكيف التفت أولاً إلى حران وحلب وأخذه لهما، فما أن استقرت أمورهما حتى تزوج الأمير بلك للمرة الثانية(سبق وأن تزوج الأمير بلك سنة 506 هـ –1113م ، من أرملة السلطان قلج أرسلان . تم تفصيل هذا الحدث في بحث سابق عن بدايات حياة الأمير بلك ودوره الأولي في الصراع مع الفرنجة . ابن الأثير، 1997م, ص686) من الأميرة فرخنده(فرخندة خاتون: الخاتون مفرد والجمع خواتين، امرأة سيدة، شريفة الأصل، عالية المقام، كان يلقب بها نساء الملوك، وفرخندة تعني الميمونة، أي السيدة الميمونة. فياض, محمد بخش, قاموس فارسي عربي, دار كمانكير, دط, طهران, دت، ص279 . 2008م، ج1, ص603) خاتون ابنة الأمير رضوان بن تاج الدولة تتش(ابن العديم، 1996م، ص287).

بعد ذلك من الواضح بأن الأمير بلك بدأ يوجه أنظاره جنوباً، فقد قام ولأول مرة بالتواصل مع الأتابك طغتكين(هوالأمير أبو منصور، المعروف بأتابك توفي سنة522 ه، وكان شَهْمًا، مَهِيبًا، شديداً على الفرنج والمفسدين. ولَقَبُه ظهير الدّين وهو والد تاج المُلوك بوري. ابن عساكر، 1995م، ج10, ص409.الذهبي، 2003م، ص378), حاكم دمشق والذي خرج على رأس قوة من عساكر دمشق رفقة الأمير أق سنقر البرسقي قاصداً الأمير بلك، وذلك بعد أن استمر الأمير جوسلين في سياسته العدوانية تجاه المسلمين كما سبق وذكرنا, والتقى الأميران لأول مرة، وقصدا أعزاز وضايقاها حتى سهل أمرها، فجهز الفرنجة أنفسهم واستعدوا للدفاع عنها ومواجهة التحالف الجديد(ابن القلانسي، 1983م، ص335) ، ونجحوا في هزيمة المسلمين فتفرقوا بعد ذلك، ورجع كل منهم إلى بلاده. بعد ذلك قام الأمير بلك بإعادة إعمار حصني الناعورة(الناعورة: من أعمال حلب، وتقع على الطريق الرابط بينها وبين الرقة. الادريسي، 1409 هـ، ج2, ص649), والمغارة(المغارة: تعرف بمغارة البختي، وهي خارج حلب باتجاه الشمال. الغزي، 1419 هـ،ج3، ص302) .(على الرغم من الهزيمة التي تلقاها التحالف الجديد، إلا أن فكرته وهي توحد قوتين من شمال الشام وجنوبها كان أمراً خطيراً بالنسبة للفرنجة؛ ولعل ذلك هو ما دفع الفرنجة لحشد أكبر قوة لهزيمة هذا الحلف، وهذا ما حصل بالفعل، كذلك فربما ما دفع الأمير بلك للتوجه جنوباً هو يأسه من أمراء مناطق شمال الشام من المسلمين والذين كان بعضهم من أقاربه وأبناء عمومته، واختلاف توجهاته معهم في مواجهة الفرنجة والسعي وراء الهدف الأسمى، وهو إخراجهم من شمال الشام أولاً، ومن ثَم من بلاد المسلمين، لقد كان اختيار طغتكين كحليف قراراً صائباً صحيحاً لما للرجل من تاريخ حسن في مواجهة الفرنجة والفساد كما ذكرت المصادر، وأشير إلى ذلك في ترجمته؛ أما أقرب مثال عن أمراء شمال الشام فلنا فيما حصل مع ابن عمه سليمان عندما سلم حصن الأثارب للفرنجة خير مثال كما سبق وذكرنا . ابن العديم، 1996م، ص287)

وتوجه إلى حلب التي لاحظ الأمير بلك تصرفات غير محمودة من قبل عامله عليها المدعو سلمان العجلاني, فقد كثر في عهده قطاع الطرق والمجرمين, فعزله وعين بدله رجل من أهل حران يدعى محمد بن سعدان, ونظم الأمير بلك شؤون المدينة فأصبحت آمنةً تفتح أبوابها ليلاً ونهاراً, وشدد على كل من يفسد بالحساب العسير، والذي يصل إلى ضرب العنق(ابن العديم، 1996م، ص288).

ولعل كل هذه الإجراءات الصارمة من قبل الأمير بلك كان سببها اجتهاده في الحفاظ على الملك بلدوين الأسير، والمسجون في المدينة، وكذلك ليتفادى أحداثاً قد تحصل كالتي وقعت في خرتبرت، والتي انتهت بفرار الأمير جوسلين والذي ذاق منه المسلمون الأمرَّين.

ومن ضمن سياساته داخل أعماله والتي كانت مهمة جداً بالطبع، من الواضح أنه كان يزرع فيها العيون لإرساء الأمن والاستقرار، والانتباه إلى أي خطر قد يخرج منها لدعم العدو وصلته أخبار مقلقة من الأمير حسان بن كمشتكين صاحب منبج, تنكر لها الأمير بلك ولم تعجبه، فقرر إرسال جزءاً من عسكره تحت قيادة ابن عمه الأمير تمرتاش بن إيلغازي ين أرتق.(ابن العديم، 1996م، ص288)

وقد اتفق كل من بلك وابن عمه تمرتاش على خطة للقبض على حسان، ملخصها أن يقوم الأمير تمرتاش بالتعريج على منبج, ويطلب من الأمير حسان الخروج معه للإغارة على تل باشر فإذا ما خرج قبض عليه وتمت الخطة بنجاح, وتمكنت قوة بلك وتمرتاش من القبض على حسان وإيداعه في السجن(بنافي طرح ابن العديم وهو من مؤرخي العصرللحادثة عما طرحه المؤرخ وليم الصوري عن هذه الحادثة ويسيء في روايته كثيراً إلى الأمير بلك، فيقول: (...فأرسل إلى واليها...يتودد إليه بكلماته المعسولة المخادعة ويسترضيه، فصدق الرجل....لأنه كان ساذجاً طيب القلب...وأسرع في الحال إلى بلك الذي ماكاد يراه بين يديه حتى أمر بضرب عنقه...). وفي الرواية تضارب مع باقي الروايات الإسلامية والمسيحية على حد السواء، والتي أجمعت على تعذيب حسان وكذلك على إطلاق سراحه وعودته لحكم منبج عقب مقتل بلك ، وعلى اعتبار أن وليم رجل دين مسيحي وكذلك كان عدو سياسي وعسكري للمسلمين، فمن الطبيعي أن تكون دوافعه في ما ذكر لها خلفية مما سبق . ابن العديم، 1996م، ص288. الصوري، د.ت, ج3، ص36), حيث حبس في سجن قلعة بالو(بالو: قلعة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية. الحموي، ياقوت، 1995, ج1، ص330), بعد أن عاقبوه بتعرية جسده وسحبه على الشوك, وعُذب حسان تعذيباً شديداً ليستسلم من في المدينة(بالو: قلعة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية. الحموي، ياقوت، 1995, ج1، ص330), ولعل هذا التصرف هو ما جعل الأمير عيسى أخو حسان يتحصن بالقلعة, ويعلن العصيان على بلك وابن عمه, حيث ضربا عليها حصاراً شديداً, فلم يجد الأمير عيسى عوناً له ومخلصاً, سوى الأمير جوسلين عدو بلك الأول في شمال الشام؛ فأرسل له رسالة جاء فيها: "**...إن وصلتني وكشفت عني عسكر بلك سلمت إليك منبج...**"(ابن العديم، 1996م، ص288), ويقول المؤرخ المجهول: **(...، فلم يقبل أخوه عيسى وأنفذ إلى جوسلين، وأطمعه بتسليم منبج إليه، فجمع جمعاً كثيراً...)**(مجهول، 1988م، ص142)**،** ومن خلال الرسالتين يتضح جلياً حجم الإغراء الذي قدمه الأمير عيسى لجوسلين(يذكر المؤرخ ميخائيل السرياني هذه الحادثة، إلا أنه أورد بأن من استنجد بجوسلين هم المرعشيون –أهل مرعش– مقابل جزية يؤدونها إليه، كذلك فلم يتطرق إلى تبعيتهم، ولعله هنا أخطأ؛ فمصادر الطرفين تجمع على أن بلك كان يحاصر منبج، والتي ذكرت الاستغاثة أكدت بأن عيسى أمير منبج النائب عن أخيه هو من استغاث، وليس المرعشيون . السرياني، 1995م، ص121), وكما هو معلوم ضعف موقف جوسلين الذي لم ينج من أسر بلك إلا بالمكر والحيلة, وللأمانة وبشهادة مؤرخي العصر المسلمين كان جوسلين من أشجع فرسان الفرنجة، ولم يتهم بالجبن في أي موقف. وبمراسلة عيسى جاءته فرصة ثمينة لم يتردد في استغلالها خصوصاً بعد أن سمع أن المتحصنين داخل القلعة نادوا بشعاره وباسمه.

مضى جوسلين إلى القدس, وطرابلس, وراسل كل بلاد الفرنجة(ابن العديم، 1996م، ص289. مجهول، 1988م, ص142) طالباً الدعم لحملته ضد الأمير بلك, ولنجدة الأمير عيسى ولكن الهدف الواضح من هذه الحملة؛ كان القضاء على الخطر الذي أصبح لايهدده فقط بل يهدد كل الفرنجة, فإذا نجح في حملته هذه بالتأكيد سينجح في تخليص ملك القدس ومن معه من الأسرى في خرتبرت.

تمكن جوسلين من حشد قوة كبيرة وصلت إلى حوالي العشرة آلاف مقاتل من مختلف الممالك الفرنجية(من الواضح هنا أن أسر الأمير بلك للملك وقبله جوسلين، أربك كثيراً الممالك الفرنجية كما سبق وذكر؛ فيلاحظ التفاف الناس والمقاتلين في تلك الممالك على الفور حول أي أمير يأتيهم ومن المعلوم بأن المشاكل والنزاعات كانت سائدة بين أغلب الأمراء الفرنجة طوال فترة الحروب الصليبية، وذلك يبين لنا حقيقة أهمية الدافع السياسي للحروب الصليبية، وكيف أثر بشكل واضح على الواقع في الممالك الفرنجية) وتوجه بهم نحو منبج التي تركها الأمير بلك بما فيها(ابن الأثير، 1997م, ج8، ص692. ابن العديم، 1996م، ص، 289), ولعله هنا تركها كي لا يقع بين قوة جوسلين المهاجمة, وقوة الأمير عيسى المحاصرة, فيصبح بين كماشتين.

التقى الجيشان في ربيع الأول 518ه مايو 1124م, وحدثت بينهما معركة كبيرة, انتصر فيها المسلمون بقيادة بلك. وهرب الفرنجة مذعورين من شدة وطيس المعركة, وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون, حتى انتهى النهار ودخل الليل(ابن الأثير، 1997م, ج8، ص692 . الذهبي، ،د.ت، ص410. الذهبي، 2003م، ج11، ص163.. السرياني، 1995م، ص121).

كان للأمير بلك في هذه المعركة دوراً كبيراً؛ فكان كعادته يتقدم الصفوف راميًا بنفسه على العدو دون حرص أو خوف شأنه شأن جنوده, ويضرب بذلك مثالاً للقيادة الحقيقية كيف تكون يقول ابنه العديم: "**... وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمسين حملة يفتك فيهم ويرجع سالماً, يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ... وعاد إلى منبج فبات مصلياً مبتهلاً إلى الله تعالى لما جدده على يده من الظفر بالفرنج ...**"(تعتبر رواية ابن العديم من أوسع وأدق الروايات، فقد فصل الحادثة بشيء من الدقة والإسهاب. ابن العديم, 1996م، ص289).

استراح الأمير بلك ومن معه من المعركة, وأحضروا له في اليوم التالي أسرى جيش الأمير جوسلين فأمر بقتلهم جميعاً(ابن العديم، 1996م، 279). ومن الواضح هنا بأنهم من عموم المقاتلة وليس بينهم قادة أو أمراء من الممكن أن يستفيد منهم عسكرياً وسياسياً عند إطلاقهم.

مقتل الأمير بلك(518ه-1124م):

عزم بلك على استمرار محاصرة الأمير عيسى في منبج، وأراد استخلاف ابن عمه الأمير تمرتاش بن إيلغازي لتكملة تلك المهمة, وذلك لسماعه بخطر الفرنجة الذين ضايقوا أهل صولا(صولا: اسم عائلة مسيحية معروفة خرج منها عدة نوابغ، وكانوا من كبار المزارعين والتجارفي حلب ونواحيها. الغزي، 1419 هـ، ج2، ص68), وفي هذه الأثناء وقبل انطلاقه, وأثناء التجهيزات تعرض لسهم جاءه من الحصن, وقيل أن من رماه كان الأمير عيسى شخصياً, وانغرس في ترقوته(الترقوة: هو وصل عظم بين ثغرة النحر والعاتق في الجانبين. الفراهيدي، دت، ج5, ص126) اليسرى, نزعه الأمير بلك وقال مقولته المشهورة: "**هذا قتل المسلمين كلهم**", توفي الأمير بلك بعد هذا السهم، وحُمل جثمانه إلى حلب, ودفن فيها من جهة القبلة لمقام إبراهيم عليه السلام(ابن العديم، 1996م، ص289. ابن الأثير، 1997م, ج8، ص692. المجهول، 1995م، ص47).

ومن أغرب الروايات عن الحادثة، أن الأمير بلك لم يكن يظهر من جسده سوى المكان الذي انغرس فيه السهم؛ لأنه كان يلبس درعاً يغطي أغلب جسده حسب الرواية(ابن العديم ، 1996م، ص290. أبوشامة، 1997م، ج1، ص156.تجمع المصادر الإسلامية والمسيحية على رواية مقتل بلك وتكاد تكون موحدة مع فروقات بسيطة لاتكاد تذكر، ماعدا المؤرخ وليم الصوري الذي أورد رواية غريبة، مفادها أن الأمير بلك رأى رؤية مزعجة في المنام، حيث رأى بلك جوسلين يسمل عينيه ويقتله، وعند محاصرة بلك لمنبج هب جوسلين لإبعاد خطر بلك، وانقض على جيشه ففر بلك ولقي أمامه جوسلين فطعنه وقطع رأسه ولم يعرف أنه بلك، الذي تحققت رؤيته . وفي الرواية تخبط كبير جداً؛ فهي أولاً رواية منفردة ولم ترد أو حتى تتشابه مع أي من روايات الاسلامية ولا المسيحية، كذلك العداء الصريح من قبل وليم تجاه بلك بحكم العداء الديني ظاهر جدا فيها ، إضافةً إلى عدم تطابق ما بين أحد العناوين الواردة في كتابه والمتن الخاص بالحادثة، بحيث أنه ذكر في العنوان(..بلك يلقى مصرعه في منبج مما يسبب فرحة عارمة تعم كافة رجال الجيش الصليبي..)وفي الرواية ذكر حادثة رؤية بلك ومن ثم قتله وهو لم يتعرف عليه، وهنا يتضح عدم الصدق في الرواية، فمن غير المعقول أن جوسلين لم يعرف بلك وقد كان بلك قد أسيراً عنده منذ أشهر قليلة وحدث بينهما ما حدث؛ لذلك فلا يمكن الاعتماد عليها أو الاستشهاد بها. الصوري، د.ت, ج2ص366-ج3ص37).

لقد لقيت رواية مقتل بلك اهتماماً من قبل المصادر العربية، حتى أنها شبهتها بحادثة مقتل القائد المسلم عماد الدين زنكي بن أق سنقر(العمري، 1423 هـ، ج27, ص24), حيث ذكرت ذلك بشكل واضح إبان ذكر وفاة الأمير عماد الدين, وذلك عندما كان يضرب حصاراً شديداً على قلعة جعبر(جعبر: قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرّقّة قرب صفّين. الحموي، ياقوت، 1995, ج2، ص142), والتي كان يحكمها بنو عقيل, وكان أميرها سالم بن مالك بن بدران العقيلي(سالم بن مالك بن بدران بن مقلد بن المسيب العقيلي: 519 هـ - 1125 م أمير جعبر.،كانت له قلعة حلب. الزركلي،2002م, ج3، ص72), وذلك في سنة (541ه- 1146م) أي بعد حوالي ثلاثة وعشرين سنة من مقتل بلك, ومفادة هذه الرواية تكمن في عظمة مكانة الأمير بلك وإسقاط تشابه طريقة قتله على الطريقة التي قتل بهما الأمير عماد الدين زنكي, يقول ابن الأثير: "**... فصعد إليه حسان... فامتنع عن التسليم فقال له حسان: فهو يقول لك: من يمنعك مني؟, فقال: يمنعني منه الذي منعك من الأمير بلك...**". ويقول ابن واصل:**(...وكانت واقعة عماد الدين شبيهة بواقعة بلك...)**(ابن واصل،1957، ج1, ص99.) ويقول أبوشامة: **(...وفي تلك الليلة قتل أتابك فكان هذا من الاتفاقات العجيبة والعبر الغريبة...)**(أبوشامة، 1997م، ج1، ص156).

ولعلهم بهذا التشبية عكسوا لنا شئ من مكانة الأمير بلك، وأن فقد الشخصيتين بلك وزنكي كان خسارة كبيرة جداً للمسلمين . والأمير حسان هذا هو نفسه الذي حبسه الأمير بلك كما ذكر سابقاً, وأصبح مع مرور الوقت من كبار قادة الأمير عماد الدين زنكي.

الآثار المترتبة على مقتل الأمير بلك:

كان لهذه الحادثة آثاراً بالغة الأهمية على طرفي الصراع، فبالنسبة للمسلمين كان أول ما نتج عن مقتل الأمير بلك هو حالة الاضطراب التي حلت بعساكره وأدت إلى تفرقهم، ولقد ترك بلك خلفه تركة ليست بالصغيرة, من القلاع والحصون والمدن التي استغرق توحيدها سنوات, وللأسف بعد وفاته قسمت تلك الممتلكات بين أبناء عمومته, ومن الواضح أنه ومن خلال المصادر لم يكن للأمير بلك أولاداً كباراً أو إخوة أشداء.

وأول ما بدأ به أبناء عمومة بلك وأقاربه هو الاستحواذ على ما أمكن من تلك المدن والحصون؛ فقد قام ابن عمه الأمير داوود بن سكمان بن أرتق بالنزول على بالو وأخذها وأطلق سراح الأمير حسان من السجن, الذي تولى أمر مدينة منبج على الفور بعد تفرق القوة المحاصرة لها(ابن العديم، د.ت، ص2234. ابن العديم، 1996م، ص290).

واستلم الجزء الأكبر من تركة بلك في شمال الشام ابن عمه ورفيقه الأمير تمرتاش بن إيلغازي، وقد كان رجلاً لا يميل للحرب والقتال, بل يميل للراحة والدعة ورخاء العيش والرفاهية, وأول عمل قام به عقب استلامه زمام الأمور في حلب؛ هو إنابة رجل يثق فيه عليها، وانسحب إلى ماردين؛ وذلك لأنه رأى بأن هذه المنطقة كثيرة الحروب, واستقر هناك بعد ترتيبه لأمور حلب(ابن الأثير، 1997م, ج8، ص692).

كان من الطبيعي أن ترجع حالة الضعف إلى المسلمين بشكل عام من حادثة مقتل بلك؛ وقد وصف المؤرخ ابن العديم ذلك بشيء من الدقة فقال: **(...فأما تمرتاش فإنه لما ملك حلب ألهاه الصبا واللعب عن التشمير والجد والنظر في أمور الملك، ففسدت الأحوال، وضعف أمر المسلمين بذلك...)**(ابن الأثير، 1997م, ج8، ص 690).

بينما تحرك ابن عمه الآخر الأمير بدرالدولة سليمان بن إيلغازي من ميافارقين(ميافارقين: ميافارقين: مدينة حولها سور تقع على الحد بين أرمينية وجزيرة الروم. مجهول, 1423هـ, ص166), إلى خرتبرت، وباقي حصون تلك التي فاقت الخمسين حصناً وتسلمها(ابن العديم، 1996م, ص289).

من خلال ما سبق يتضح أن بلك كان قد أكمل ما بدأه عماه سكمان وإيلغازي, ولم يقل عنهما بأساً ولا حكمةً, واتضح عقب وفاته الشرخ في البيت الأرتقي الذي كان من أبرز القوى الإسلامية المواجهة للفرنجة الصليبيين عقب الحملة الصليبية الأولى, ولم يكن أبناء عمومته الذين ورثوه في مستوى أداءه السياسي والعسكري, بل دخلوا في نزاعات فيما بينهم بعد وفاته بعد تشتيت القوة التي بذل جهداً ليس بالهين ووقتاً ليس بالقليل في تأسيسها.

أما بالنسبة للفرنجة فمما لاشك فيه أن وفاة الأمير بلك كانت من أفضل الأخبار والأحداث التي سمع عنها الفرنجة الصليبيون في تلك الفترة، كون الأمير بلك رحمه الله كان أقوى شخصية اجتمع تحت إمرته الكثير من المسلمين, وأكثر شخصية حملت على عاتقها مناجزة الفرنجة, ونتائج هذه السياسة سبق وأن تم تفصيلها، يقول وليم الصوري في أحد عناوين كتابه **(... بلك يلقى مصرعه في منبج مما يسبب فرحة عارمة تعم كافة رجال الجيش الصليبي...)**(الصوري، د.ت, ج3 ، ص10**)**

وبمقتل الأمير بلك تخلص الفرنجة من خطر كان يهددهم في كل شمال الشام إضافة إلى أمر مهم جداً, وهو أن صاحب أعلى صفة في الكيانات الفرنجية الصليبية الذي كان يقبع في سجن الأمير بلك, يعلم جيداً مدى ما سيتحصل عليه المسلمون مقابل إطلاق سراحه, ولوحظ من خلال ما سبق أن بلك فاوض جوسلين على عدد من القلاع والحصون ورفض, أما بعد وفاته فالأمور قد تغيرت, وكما أسلفنا فإن خلفائه لم يكونوا في مستواه على كل الأصعدة, وبحكم أن تمرتاش بن إيلغازي هو من تولى أغلب شؤون شمال الشام، فمن المعلوم أن يكون هو من يتولى مصير الملك بلدوين, خصوصاً وأن باقي أبناء عمومته لم يظهر منهم ما ظهر من سلفهم بلك في مقاومة الفرنجة وغزوهم , وكما عرف عن تمرتاش ميوله للرفاهة والدعة؛ تعجل في عملية إطلاق سراح الملك بلدوين, ووصفتت هذه العملية في بعض المصادر بالبيع(ابن العديم، د.ت، ج4، ص1963. السرياني، 1995م، ص122. ابن العبري، 1995م, ص339) ، وكان الوسيط في هذه العملية هو الأمير سلطان بن منقذ(بنو منقذ: أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار، جلهم فارس شجاع، وشاعر أديب، وكان حصن شيزر، وهو في شمال حماة. الذهبي، 1985م، ج1, ص481) الذي أرسل أولاده وأولاد إخوته كرهائن لدى الأمير حسام الدين تمرتاش، وكان على رأسهم الأمير مرشد بن علي بن منقذ وأخيه، إضافة إلى وضع بعض أبناء الأمراء الفرنجة كان عددهم اثنى عشر ولد، من بينهم ابنة الملك بلدوين نفسه وابن الأمير جوسلين ، كرهائن عند الأمير سلطان ابن منقذ، وقد استفادت عائلة منقذ من هذا الحدث فأصبحت ذات مكانة عند الملك بلدوين بعد إطلاق سراحه، وكذلك في إمارة أنطاكية، وقد أعفاهم الملك من قطيعة مالية كانت واجبة الدفع لصالح إمارة أنطاكية(ابن منقذ, د ت، ص120–121), وكان شرط رهن الأبناء لضمان إطلاق سراح الملك بلدوين واستيفاء شروط الاتفاق بين الطرفين، الذي نص على تسليم حصون الأثارب **وزردنا والجزر وكفر طاب وأعزار، إضافةً إلى ثمانين ألف دينار قدم منها عشرين ألف دينار.**

فكت قيود الملك وجلس مع تمرتاش، وأكلا وشربا معاً وتصافحا وخلع تمرتاش عليه وأهداه أشياء ثمينة، بل إنه أرجع له حتى الحصان الذي أُسر وهو على صهوته من قبل بلك، فركبه وقصد شيزر، واستقر فيها لحين جلب الأولاد الرهائن والعشرين ألف دينار المستعجلة(ابن العديم, 1996م، ص291).

من الواضح أن الملك بلدوين رأى حالة الضعف التي يمر بها المسلمون بعد وفاة بلك، وأنه فقط من كان يشكل عليه خطر, فما أن أطلق سراحه وغادر شيزر، حتى نقض الاتفاق, بعد شهر من إبرامه، وجهز جيشاً كبيراً وذهب لحصار حلب وضيق عليها, وتآمر معه بعض القادة المسلمين(تخالف معه في حصار حلب كل من الأمير دبيس بن صدقة, والذي جمعهم هو الأمير مالك بن سالم العقيلي صاحب قلعة جعبر، وكان معهما في الحدّ الأمير جوسلين. ابن العديم, 1996م، ص291).

يبدو أن الملك استغل حالة الضعف التي خيمت على المسلمين عقب مقتل بلك. والغريب أنه لم ينهض أي من خلفاء بلك لنصرة المدينة؛ فقد ورد في بعض المصادر التاريخية وحتى الأدبية، أن من نهض بمدينة حلب بعد مقتل الأمير بلك وفي أثناء حصارها ليس ابن عمه تمرتاش، المسؤول عنها ولا أحد من أي أبناء عمومته، بل قاضيها أبو غانم(هو القاضي أبو الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم، جد المؤرخ و صاحب كتابي زبدة الحلب، وبغية الطلب في تاريخ حلب . ابن العديم, 1996م، ص294), وقد عانى أهل حلب معاناةً شديدةً، نتاج ذلك الحصار حتى أكلوا الميتة والكلاب، ولم يكن في تلك الفترة للمدينة حاكم(في الحقيقة أن من ورثها من بلك هو ابن عمه الأمير تمرتاش، ولكنه كما ذكر سابقاً استقر في ماردين وكان ضعيفاً يميل لحياة السكن والراحة), إنما تولوا حفظ المدينة بأنفسهم ، وصبروا على ذلك صبراً طويلاً وأبلوا في تلك المحنة بلاءً حسناً، واستمر ذلك الحصار حوالي التسعة أشهر، حتى أتاهم الفرج بعد أن راسلوا أمير الموصل أقسنقر البرسقي(الحموي، 1993م، ج5, ص2079.ابن خلدون, 1988م، ج5, ص254) فأنجدهم، وهرب المحاصرون للمدينة عندما سمعوا بقدومه، فتسلم المدينة وقلعتها وبقي فيها إلى أن قُتل سنة 520ه(تعتبر رواية ابن العديم، من أفضل الروايات التي عالجت موضوع إطلاق سراح بلدوين، فقد أسهب وفصل الموضوع من بدايته إلى نهايته بشيء من الدقة، لمعرفة المزيد انظر: ابن العديم, 1996م، ص290 وما بعدها . النويري، 1423ه، ج27, ص77. القلقشندي، د.ت، ج4, ص177. ابن العبري، 1992م، ص202. المجهول، 1995م، ص49).

بعد الانتهاء بحمد الله وفضله من هذه الدراسة توصل الباحث إلى عدة نتائج هي :

أولاً: ظهرت جلياً شخصية الأمير بلك بين المسلمين وأعدائهم الفرنجة الصليبيين على حد سواء, فمن الممكن اعتباره أقوى شخصية مسلمة قادت المقاومة ضد الفرنجة الصليبيين، وأثرت في موازين الصراع من بعد وفاة عمه إيلغازي وحتى ظهور شخصية الأمير عماد الدين زنكي.

ثانياً: تجلت أكبر نجاحات الأمير في القاءه القبض على أكبر شخصيتين سياسيتين في الكيانات الفرنجية جوسلين أمير الرها والملك بلدوين الثاني، وهي المرة الأولى التي يقع فيها صاحب هذا المنصب أسيراً عند أمير مسلم، ولم تتكرر هذه الحادثة إلا بعد توحد الشام ومصر تحديداً في معركة حطين، في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن ذلك تظهر عظمة هذا الانجاز التاريخي، وعظم مكانة من قام به.

ثالثاً: إن النجاحات العظيمة السالفة الذكر، كانت بمجهود فردي خاص بالأمير بلك، ولم يكن فيها أي عون أو مساعدة من أي طرف من المسلمين، سوى موروث عمي بلك سقمان وإيلغازي، سواءً في شخصيته أو على المستويين المادي والعسكري.

رابعاً: إن تعامل بلك مع أسيريه له دلالة على أنه أصبح يملك خبرة كبيرة في كيفية التعامل مع الفرنجة، وفي كيفية تحقيق أكبر قدر من الانجازات دون أدنى مجهود عسكري أو خسائر

خامسا: إن من أبرز آثار ونتائج أسر بلدوين ملك القدس على صعيد العالم الإسلامي؛ هو تحرك الفاطميين من مصر بعد سماعهم بما حدث في شمال الشام محاولين استغلال تلك الأحداث، وبالرغم من عدم نجاح مساعيهم كما ورد في البحث، إلا أن الفكرة كانت حسنة ووضعت قاعدة امكانية التنسيق بين المسلمين في مصر والشام، وهذا ما حصل بالفعل فيما بعد في عهد السلطان نورالدين محمود، ومع كل ذلك لم تكترث أعلى سلطة سياسية للعالم الإسلامي وقتها وهي الخلافة العباسية، لهذه الأحداث أو غيرها في بلاد الشام وما حولها.

سادسا: يحسب للأمير بلك تدقيقه وشدته في التعامل مع المسلمين؛ فنجده يتعامل مع جميع من يوليهم بالحسنى مع عدم إغفال التلويح بالقوة والبطش دون رحمة، بل واستخدامها في حال استدعى ذلك، و ذلك على السواء بين أقاربه وغيرهم .

سابعاً: أصبح الأمير بلك يدرك جيداً أهمية ما يتحصل عليه نتاج القبض على شخصيات فرنجية كبيرة وذلك بعد التجربة الميدانية المباشرة، فصحيح أنه عندما فاوض بلك جوسلين على الرها، لم ينجح في تحقيق مطلبه؛ غير أن تلك الفكرة نجحت عندما أسر الملك بلدوين، باستلامه لحصني كركر ومنصور دون مقاومة وفي وقت قصير.

ثامناً: كشفت الدراسة الدور السياسي والعسكري المهم للقضاة في تلك الحقبة، وهذا بدوره يفتح باباً للبحث والدراسة عن أحوال ومكانة وصلاحيات القضاة وكذلك دورهم في تلك الحقبة.

تاسعاً: كشفت الدراسة عن تحول خطير في العلاقة بين المكونات الدينية في مدينة حلب من خلال المصادر، وهو قيام قاضي المدينة وأعيانها من المسلمين بهدم كل الكنائس وتحويل ما تبقى منها إلى مساجد، ماعدا اثنين منها فقط، وهنا لم تذكر المصادر عددها بالتحديد في مدينة كحلب .

عاشراً: إن أقوى دليل على مدى عظم شخصية بلك وقوته ومكانته؛ هو ردات فعل بعض الفرنجة وبشهادة مصادرهم؛ فقام بعضهم بالهجوم على حلب التي يملكها ابن عم الأمير، على الرغم من مسالمته لهم وتجنبوا مواجة بلك الذي كان دائم الغزو فيهم حتى أنهكهم.

الحادية عشر: إن ما يؤكد النقطة السابقة، هي حالة التدهور والضعف التي حلت بالمسلمين بعد وفاة بلك مباشرة، فلم يكن في أهله من البيت الأرتقي أو غيره من يناظره في الشجاعة والإقدام وحسن التدبير؛ ليسد الفراغ الذي تركه، حتى قارن بعض من المؤرخين مقتله بمقتل الأمير المعلوم المكانة زنكي، وبالتأكيد إن لذلك دلالة على قرب تناظر مكانتيهما.

المصادر والمراجع

1 ابن الأثير, أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عزالدين (المتوفى: 630هـ), (1997م), الكامل في التاريخ, تحقيق . عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت, ط1.

2 الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف (المتوفى: 560هـ), (1409هـ), نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1.

3 الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي, المعروف بالكرخي(المتوفى: 346هـ), (2004م), المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.

4 البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي(المتوفى: 487هـ)، (1403هـ), معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ج2 عالم الكتب، بيروت، ط3.

5 البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: 709هـ)، (2003), المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط – ياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، جدة، ط1.

6 الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ), (1995م)، معجم البلدان, دار صادر، بيروت، ط2.

7 الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(المتوفى: 626هـ)، (1993م), معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت, ط1.

8 ابن حوقل، محمد البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد 367هـ)، (1938م), صورة الأرض, دار صادر، بيروت.

9 ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ), (1988م), العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر, تحقيق : خليل شحادة, دار الفكر، بيروت ،ط 2.

10 الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: 748هـ)، (2003م), تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1.

11 الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، (1985م), سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

12 الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(المتوفى: 748هـ)، (د.ت), العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.

13 الرهاوي, متى, تاريخ متى الرهاوي,المتوفى1136م، (2009م), ترجمة: محمود الرويضي /عبدالرحيم مصطفى, وزارة الثقافة الأردنية, د ط, عمان.

14 الزركلي، (2002م), الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)،ج3، دار العلم للملايين، ط5.

15 السرياني, ميخائيل (1995م), روايات المؤرخ ميخائيل السرياني, ترجمة وتحقيق. سهيل زكار, الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية, دار الفكر, دط, دمشق.

16 الشارتري، فوشيه، المتوفى1127م، (1990), تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمه من اللاتينية إلى الإنجليزية: فرنسيس ريتا ريان، ترجمه إلى العربية: زياد العسلي، دار الشروق، ط1، عمان.

17 أبوشامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي(المتوفى: 665 هـ)، (1997م) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق،ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

18 الصوري، وليم، المتوفى 1186م، (د.ت), الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ج2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة.

19 ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (المتوفى: 953هـ)، (1998م) إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، تحقيق: مهنّا حمد المهنّا، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط1.

20 عاشور, سعيد عبدالفتاح, (د.ت), الحركة الصليبية, مكتبة الأنجلو المصرية, د ط.

21 ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (المتوفى: 571هـ)، (1995م) تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق.

22 ابن العبري, غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هرون) بن توما الملطي، أبوالفرج، (المتوفى: 685/1286هـ) (1992م), تاريخ مختصر الدول, تحقيق, أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط3, بيروت.

23 ابن العبري, غريغوريوس يوحنا ابن أهرون أو هرون بن توما الملطي، أبو الفرج (المتوفى: 685/1286هـ), (1995م), روايات ابن العبري, ترجمة وتحقيق. سهيل زكار, الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية, دار الفكر, دط, دمشق.

24 ابن العديم, عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي كمال الدين (المتوفى: 660هـ)،(1996م), زبدة الحلب في تاريخ حلب, وضع حواشيه :خليل المنصور, دار الكتب العلمية, ط1، بيروت.

25 ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (المتوفى: 660هـ)، (د.ت), بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق.

26 عمر، أحمد مختار عبد الحميد, بمساعدة فريق عمل, (2008م), معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1.

27 عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (2008م), بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1.

28 العمري, أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي شهاب الدين (المتوفى: 749هـ), (،1423هـ), مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي، أبوظبي, ط1.

29 عمران, محمود سعيد،(1986) القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، دار النهضة العربية، بيروت.

30 الغزي, كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، (المتوفى: 1351هـ),(1419هـ), نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، ط2,حلب.

31 الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (المتوفى: 170هـ), (د.ت)، كتاب العين، تحقيق، مهدي المخزومي–إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

32 فياض, محمد بخش, (د.ت), قاموس فارسي عربي, دار كمانكير, دط, طهران.

33 ابن القلانسي, حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي (المتوفى : 555هـ)، (1983م), تاريخ دمشق, تحقيق, سهيل زكار, دار حسان للطباعة والنشر، دمشق, ط1 - 1983م.

34 القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (المتوفى: 821هـ)، (د.ت), صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت.

35 مجهول ،(توفي: بعد 372هـ), (1423هـ), حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية, السيد يوسف الهادي, الدار الثقافية للنشر، دط ,القاهرة.

36 مجهول، (1988م), شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت.

37 المجهول، المؤرخ الرهاوي, (1995م), روايات المجهول، المؤرخ الرهاوي عن الحملتين الأولى والثانية, ترجمة وتحقيق. سهيل زكار, الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية, دار الفكر, دط, دمشق.

38 ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى711هـ)، (1414هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت.

39 ابن منقذ, أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: 584 هـ), (د.ت), تحرير: فيليب حتي, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة.

40 النسفي، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين(المتوفى: 537هـ)، (1311هـ), طلبة الطلبة، مكتبة المثنى بغداد، دط.

41 النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (المتوفى: 733هـ)، (1423ه), نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة, ط1.

42 ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: 697هـ)، (1957) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

43 ابن الوردي, عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (المتوفى: 749هـ), (1996م), تاريخ ابن الوردي،ج2، دار الكتب العلمية، ط1, بيروت.

44 ابن يوسف، رزق الله بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، (1913م), مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.

45 Duggan, AlfredK the story of crusades. London. 1963.